الفلسفة ثانية باك

مفهوم الدولة (المحور الأول : مشروعية الدولة وغاياتها)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : ماكس فيبر
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : باروخ سبينوزا
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : توماس هوبز
4-1/ النص الفلسفي
4-2/ الأسئلة
4-3/ التصور الفلسفي
V- تركيب

I- الإشكالية

إن تناول مفهوم الدولة باعتبارها تجمعا بشريا منظما سياسيا ومؤطرا بمؤسسات وقوانين تهدف تنظيم المجال العام وخلق حياة آمنة ومستقرة لجميع الأفراد يحمل في طياته عدة مفارقات ضمنية وصريحة، منها أن الدولة وجدت للحد من العنف الطبيعي للإنسان فإذا بها تتخذ من العنف وسيلة لفرض وجودها، وهنا نجد أنفسنا أمام إشكال وقضية مشروعية (وجود الدولة وغاياته)، ما يطرح مجموعة من التساؤلات :

- لم الدولة ؟

- ما الغاية من وجود الدولة ؟
- هل هي تحقيق حرية الأفراد باعتبارها وسيلة أم السيادة ونشر القيم العقلية باعتبار الدولة غاية في ذاتها ؟
- من أين تستمد مشروعية وجودها ؟
- من الأفراد أو التعاقد أم من ذاتها أم من الصراع الطبقي أو الطبقة المهيمنة ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : ماكس فيبر

2-1/ النص الفلسفي

مشروعية سلطة الدولة

ماكس فيبر

يعتبر فيبر أن السياسة هي مجال تدبير الشأن العام وتسييره. والدولة ذاتها ليست، حسب فيبر، إلا تعبيرًا عن علاقات الهيمنة القائمة في المجتمع، وهي الهيمنة التي تقوم على مبدأ المشروعية. وفي هذا النص المقتطف من كتاب «رجل العلم ورجل السياسة» يحاول فيبر تحديد أنواع هذه المشروعية التي تشكل أساس الأشكال المختلفة للدولة.

«هناك ثلاثة أُسُسٍ للمشروعية. هناك أولا سلطة «الأمسِ الأزَلِيِّ» أي سلطةُ العاداتِ والتقاليدِ التي تكرسُها صلاحيتُها العتيقة، وعادة احترامها المتجذرة في الإنسان. وتلكَ هي السلطة التقليدِيَّة التي كان الأبُ الأكْبَر أو الشيخ يمارسها في الماضِي.

ثانيًا، هناك السلطة القائمةُ على المَزَايَا الشخصيَّة الفائقة لشخصٍ ما. وهي سلطة تتميزُ بتفاني الرَّعايا تجاه القضَايا التي يدعو لها هذا الإنسانُ الملْهَم أو المتميز أو المتمتع في نظرهم بصفاتٍ خارقَة، وببطُولات نادرةٍ وبالميزات الأخرى التي تجعل منه زعيمًا متميزًا. هذه هي السلطةُ اللَّدُنِيَّةُ (الكَارِزْمِيَّةُ) التي كان يتمتعُ بها الأنبياءُ ويمارسونَها. وفي المجالِ السياسِي يمارسها رئيس أركان الحزب المنتخب أو العاهل الملهَم، أو الديماغوجي الكبير أو زعيم الحزبِ السِّيَاسِيِّ.

ثالثًا، هناك أخيرًا السلطة التي تفرض نفسها بواسطة الشرعيَّة، أي بفضْلِ الاعتقاد في صَلاَحِيَّة نظام مشروع وكفاءة إيجابية قائمة على قواعد حكم عقلانية. فهي السلطة القائمة على أساس الامتثال للواجبات والالتزامات المطابقة لقوانين النظام القَائِم. وهذه هي السُّلطَةُ كما يمارسُها «خادِمُ الدَّولة» الحَدِيثَةِ وكلُّ الذين يمسِكُونَ بزِمَامِ السلطةِ والذين يعملون في هذا الإطار معه.

إن الدوافع القوية جدًا، المحكومة بالخوف أو بالأمل هي التي تشرط امتثال الأفراد إما خشية من إنتقام القوى السحرية أو من الممسكين بزمام السلطة، أو الأمل في مكافأة دنيوية أو في العالم الآخر. لكن يمكنها أن تكون مشروطة أيضًا بمصالح أخرى متنوعة جدًا. .. مهما يكن من أمر ففي كل مرة نتساءل فيها عن الأسس التي تجعل الامتثال مشروعًا نصادف دومًا هذه الأشكال الثلاثة (الخالصة) التي أشرنا إليها لتوًّنَا.

إن هذه التمثلات، وتبريرها الداخلي أيضًا، تتمتّع بأهمية كبيرة بالنسبة لبنية السيطرة. من المؤكد أننا لا نصادف في الواقع هذه النماذج في شكلها الخالص إلا نادرًا جدًا.»

ماكس فيبر، رجل العلم ورجل السياسة، ترجمة نادر ذكرى، بيروت، دار الحقيقة، 1982، ص ص. 47-48. (بتصرف).

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه ماكس فيبر.

- صياغة السؤال الذي يفترض أن ماكس فيبر يجيب عنه.

2- أبني أطروحة ماكس فيبر من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب ماكس فيبر عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة ماكس فيبر وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

2-3/ التصور الفلسفي

السياسة هي مجال تدبير الشأن العام وتسييره، والدولة ذاتها، ليست إلا تعبيرا عن علاقات الهيمنة القائمة في المجتمع، وهي الهيمنة التي تقوم على مبدأ المشروعية انطلاقا من سلطة عقلانية قائمة على الاعتقاد بقواعد ومعايير موضوعية لصلاحية وكفاءة نظام مشروع وعلى تفويض لمقاليد السلطة. وسلطة تقليدية ترتبط بالاعتقاد بقدسية التقاليد وبشرعية مكانة السلطة ومن يمثلها، ثم سلطة كاريزماتية مدنية متأسسة على الولاء المطلق لشخص يعتبر قدوة أو نظام زعيم ما.

« هناك ثلاثة أسس للمشروعية... نفوذ التقاليد المقدسة... والنفوذ المبني على السحر الشخصي والفائق لفرد ما ... والسلطة التي تفرض نفسها بفضل الشرعية ».

III- الموقف الفلسفي 2 : باروخ سبينوزا

1-3/ النص الفلسفي

غاية الدولة هي الحرية

إن الغاية القصوى من تأسيس الدولة ليست السيادة 1 أو إرهاب الناس أو جعلهم يقعون تحت نير الآخرين، بل هي تحرير الفرد من الخوف بحيث يعيش كل فرد في أمان بقدر الإمكان، أي يحتفظ بالقدر المستطاع بحقه الطبيعي في الحياة وفي العمل دون إلحاق الضرر بالغير. وأكرر القول بأن الغاية من تأسيس الدّولة ليست تحويل الموجودات العاقلة إلى حيوانات وآلات صمَّاء، بل المقصود منها هو إتاحة الفرصة لأبدانهم وأذهانهم كيما تقوم بوظائفها كاملة في أمان تام، بحيث يتسنى لهم أن يستخدموا عقولهم استخداماً حرّاً دون إشهار لأسلحة الحقد أو الغضب أو الخداع، وبحيث يتعاملون معا دون ظلم أو إجحاف، فالحرية إذن هي الغاية الحقيقية من قيام الدّولة.

(...) إن الشرط الوحيد الضروري لقيام الدَّولة هو أن تنبع سلطة 2 إصدار القرار من الجماعة أو من بعض الأفراد أو من فرد واحد. ولما كانت أحكام الناس، إذا ما تركوا أحراراً، تختلف فيما بينها كل الاختلاف، ولما كان كل فرد يظن أنه وحده الذي يعلم كل شيء، ونظراً إلى أنّهَ من المستحيل أن يفكّر الناس كلهم ويعبروا عن أفكارهم بطريقة واحدة، فإنهم ما كانوا ليعيشوا في سلام لو لم يتخل كل فردٍ عن حقه في أن يسلك وفقاً لما يمليه عليه قراره الشخصي. وعلى ذلك فإن الحق الوحيد الذي تخلى عنه الفرد هو حقه في أن يسلك كما يشاء وليس حقه في التفكير والحكم.

وعلى ذلك فإن كل من يسلك ضد مشيئة السلطة العليا يلحق بها الضرر. ولكن المرء يستطيع أن يفكر وأن يصدر حكمه، ومن ثم يستطيع الكلام أيضا، بحرية تامة، بشرط ألا يتعدَّى حدود الكلام أو الدعوة، وأن يعتمد في ذلك على العقل وحده، لا على الخداع أو الغضب أو الحقد، ودون أن يكون في نيته تغيير أي شيء في الدَّولة بمحض إرادته.

باروخ اسبينوزا، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ترجمة حسن حنفي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة 1997 ،ص:446.

3-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه سبينوزا.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن سبينوزا يجيب عنه.

2- أبني أطروحة سبينوزا من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب سبينوزا عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

يرى اسبينوزا أن الغاية من تأسيس الدولة ليست تحويل الموجودات العاقلة إلى حيوانات أو آلات صماء، بل إن الغاية من وجودها هي إتاحة الفرصة لأبدانهم كي تقوم بوظائفها كاملة في أمان تام، حيث يتسنى لهم أن يستخدموا عقولهم استخداما حرا، دون إشهار لأسلحة الحقد أو الغضب أو الخداع، ويتعاملون مع بعضهم بدون ظلم أو إجحاف.

إن الحرية، بمعنى آخر، هي الغاية الحقيقية من قيام الدولة. ولما كانت أحكام الناس إذا ما تركوا أحرارا، تختلف فيما بينهم كل الاختلاف، ولما كان كل فرد يظن أنه وحده الذي يعلم كل شيء، فإنهم ما كانوا ليعيشوا في سلام، لذلك كان من الحكمة والعقل، أن تقوم الدولة.

لذلك فمشروعية الدولة حسب اسبينوزا تقوم على أساس عقلي.

IV- الموقف الفلسفي 3 : توماس هوبز

4-1/ النص الفلسفي

غاية الدولة تحقيق السلم

توماس هوبس

يعتبر هوبس مؤسس الفلسفة السياسية الحديثة. ولعل أهم تصور أتى به هو كون الدولة تنشأ نتيجة تعاقد إرادي وميثاق حر بين البشر حتى ينتقلوا من حالة الطبيعة، وهي حالة الحرب الدائمة، إلى حالة المدنية. وفي هذا النص المقتطف من كتاب «التنين» يحاول هوبس أن يبين أن غاية الدولة هي تحقيق الأمن والسلم في المجتمع.

«إن البشرَ وهُمْ ذَوُو ولع طبيعي بالحرية وبممارسة الهيمنة على الغير قد أوجبوا على أنفسهم حُدُودًا يعيشون في كنفِهَا داخل الجمهوريات التي أسسوها. وإذا سنُّوا هذه الحدود، جعلوا مُنْتَهَى طُمُوحهم وغَايَةَ سعيهم وهدف وجودهم أن يَضْمَنُوا بَقَاءَهُمْ الذّاتي وأن يحيوا حياة أوفرَ سعادةً بواسطة هذه الطريقة، فَغَايَتُهم بعبَارَةٍ أخرَى أن يتملصُّوا من حالَةِ الحرْبِ المُزرِيَةِ، وهيَ... نتيجةٌ ضرُوريّةٌ للأهوَاء الطبيعيّة عندما لاتُوجدُ سلْطَةٌ فِعليّةٌ تخضعهم وتربِطُ بينهم خِشْيَةَ العُقُوباتِ سواءٌ من أجلِ العملِ بالمَوَاثِيقِ التي أبرَمُوهَا أو لاحْتِرَامِ قوانينِ الطبيعَةِ (...).

والسبيل الوحِيدُ لإقَامَةِ هذا النّوْعِ منَ السُّلْطَةِ المشتركَةِ، الكَفِيلَةِ بصِيَانَةِ النّاسِ منْ هَجَمَاتِ الغرباء، ووقَايَتِهِمْ من الأضْرَارِ الّتِي قدْ يُسَبِّبُهَا بعضهمْ لبَعْضٍ، والقَادِرَةِ على حمايتهمْ بحيثُ تمكنهم مهَارَتُهم ومنتُوجُ أرضهم من أن يقتاتوا ويحْيَوْا حياةً رضيّةً، هو أن يعهدوا بكلّ ما لَهُمْ من سلطةٍ وقُوّةٍ إلى رجُلٍ واحِدٍ أو إلى مجلِسٍ وَاحِدٍ حتَّى تُصْبِحَ كلّ الإرَادَاتِ الكثِيرةِ، إرَادَةً وَاحِدَةً بوَاسِطةِ قانُونِ الأغلبيّة. وهذَا يعني أن تَخْتَارَ المجمُوعةُ رجلاً أو مجلِسًا منَ النُّوَابِ للاضْطِلاعِ بِشُؤونِهَا بصفتها شخْصِيّةً معنويّةً، ولا بد أن يُقِرَّ كلّ امرِئٍ ـ إحسَاسًا أو إدْرَاكًا ـ بأنّهُ هو مصدر الفعْلِ في كلّ ما يَقومُ بِهِ من وقع تعيينهُ، وفي كلّ ما يمكن أن يأمرَ به في المسائِلِ المتعلّقَةِ بالسّلمِ وبالأمنِ المشتركِ، ولا بُدَّ بالتّالِي من أن يُخضِعَ كلّ امرِئٍ إرادتَهُ وحكمَهُ لإرَادةِ هذا الرّجلِ وهذا المجلِسِ وحكمهما.

وهذَا أمرٌ يتجَاوَزُ في عُمْقِهِ مجرّدِ المُوَافَقَةِ والإجْمَاعِ لأنّهُ يعني اتّحَادًا حقيقيًا تذُوبُ فيه مجموعةُ الأفرادِ في ذاتِ شخص واحِدٍ. إنّهُ اتّحَادٌ ناشِئٌ من مِيثاقٍ عقَدَهُ كل فردٍ مع سائِرِ الأفرادِ على نحوٍ خاصٍّ وكأنَّ كل امْرِئٍ يُخَاطِبُ غَيْرَهُ بِقَوْلِهِ : «إنّني قد تَنَازَلْتُ لهُ عنْ حقّي في أن أسوسَ شُؤُونِي بنفسي، شرْطَ أن تتنازَلَ مثلِي عنْ حَقّكَ، وأن تقبَلَ كلَّ فعْلٍ صَادِرٍ عنْ هَذَا الرجُلِ أو عنْ هَذَا المجلِسِ». وإذَا تمَّ ذَلِكَ، سُمِّيَ اتحادُ الكَثْرَةِ في كيانٍ واحدٍ دولةً (...) وهي التي نَدِينُ لهَا بما نحنُ فيهِ منْ سَلاَمٍ وأمْنٍ.»

Thomas Hobbes, *Leviathan*, trad. fr. Ticaud, Paris, Sirey, 1971, pp. 173-178.

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه هوبز.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن هوبز يجيب عنه.

2- أبني أطروحة هوبز من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب هوبز عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة ماكس فيبر وأطروحة سبينوزا.
- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

3-4/ التصور الفلسفي

يرى هوبز أن الغاية من إنشاء الدولة كمجتمع سياسي هي ضمان سلم مدني ومنع حرب دائمة بين الأفراد، فالدولة هي نتاج لميثاق تعاقدي بين البشر، انتقلوا بموجبه من حالة الطبيعة (حرب الكل ضد الكل) إلى حال المدنية، وذلك من خلال تنازل كل فرد بمحض إرادته عن جزء من حريته الخاصة أو سلطته أو قوته لصالح رجل واحد أو مجلس واحد، يخضع له كل أفراد المجتمع ويتمتع بسلطة مطلقة تضمن الأمن والسلم الاجتماعيين.

« يسمى اتحاد الكثرة في كيان واحد دولة... وهي التي ندين لها بما نحن فيه من سلام وأمن ».

V- تركيب

إن هذه الأطروحات المتعلقة بمشروعية الدولة وغاياتها، تتباين بين من يراها قائمة عل منظور اتفاقي تعاقدي، يحفظ الأمن والسلم ويكفل تحقق الحرية الإنسانية، وبين من يراها تجسد تلك الإرادة العقلانية العامة الكونية التي تعبر عن المضمون الحق للحرية المطابقة للعقل، تجسد بجلاء أهمية الدولة ودورها الرائد في التحقيق الفعلي لإنسانية الإنسان، بل وتوفير شروط تحقيق كماله.